لليهودية أن تأخذ شكلها المتكامل لا من ارميا وانما من حزقيـــال الذي أعطانا صورة متكاملة للظاهرة النفسية . وفي سلسلة من الرموز والاحلام والكوابيس وأحلام اليقظة يعطينا كتابه سلسلة من صور العدم والقفر ، الاجسام العـــارية المشينة ، الجنس الشاذ المروع ، النيران التي تلتهم الاطفال ، قمم الصخور المضرجة بالدماء ، القدور المليئة باللحم والعظام تحت طفاوة من الحثالة يرش عليها شيء من التوابل ثم تغلى حتى تتحول الجيفة الى كتلة منسجمة(١١) . ويبدأ هذا السفر بتخيل يرى فيه حزقيال خلائق مريعة لها أربعة رؤوس وأجنحة يظهر بعدها الرب يتصاعد اللهيب من منطقته الجنسية فيخبر الكاهن بأنه يعيش بين عقارب ثم يسلمه كتاباً . يحتوي الكتاب مراثي يبادر حزقيال بالتصرف الاصيل للكآبة فيزدردها . هنا يأمره الرب بأن يأكل ويشرب بمقياس صغير وأن يخلط اكله بغائط انسان . وعندما يحتج الكاهن يسمح له الرب بتبديل غائط الانسان بروث بقر . وتتوالى الصور الابتلاعية (Oral intojection) الشرجية (anal).

ثم تنجلي السحابة وتعود بارقة الامل فاذا بها شمس ساطعة . وفي حالة المسعور بألمانيا يطل من الافق خلاص اسرائيل وتسنمها المجد والسؤدد بين أكاليـــل الرموز الخلودية .

ويغرق الكهان في بحر من الاوامر والنواهي المفرطة التي يتعـــذر تفسيرها بشيء غير النفسية الذهانية المتطيرة . ويقع التركيز على الازدراد الاكلي والايلاج الجنسي والتفريغ الشرجي ويقسم العالم برمته الى نظيف وغير نظيف . لحم الحمل بلبن امه غير نظيف لا تقربه . المرأة الحائض غير نظيفة لا تقربها . الذكر بشظفته غير نظيف لا تقربيه . الطير آكل اللحم غير نظيف وكذا الماشية التي لا تجتر والسمك بدون زعانف أو أصداف . أي عيب في حيوان يجعله غير نظيف . ولاول مرة اصبح جسم الانسان العاري غير نظيف والجنس مكروه . وما ذلك في الواقع الا جزء من ظاهرة العزوف عن اللحم والجنس عموما التي تصاحب الكآبة . وأعطانا دانيال مشهدا مسرحيا عندما دعاه الامير الى أكلة لحم فالتجأ دانيال الى شتى الحيل حتى استبدل اللحم بالجريش . أصبح الاكل المفضل البصل والثوم والحبوب .

ونستشف مما سبق هبوطا بارزا في الطاقة الجنسية (الليبدو) الى حد أصبح يميز التراث اليهود العبري عن بقية الحضارات القديمة التي اعتـــزت بالجنس وجمال الجسد . ونلفت النظر الى أن اللغة العبرية لم تعرف كلمة العفة الجنسية حتى عهد السبي . وربما ألقت ظاهرة الختان ضوءا آخر على هذه الناحية . فالثابت ان هذه العادة لم تكن شائعة بين العبريين حتى العهود اللاحقة عندما أصبحت واجبا بعـــد السبي(١٢) . وينظر علماء الاجتماع اليها كبديل لعملية الاخصاء التـــي كان البدائيون يوقعونها بالعدو . وقد لاحظ هربرت سبنسر ان القبيلة المنتصرة كثيرا ما تساهلت مع عدوها المنهزم فاكتفت بختان رجاله بدلا من ذبحهم . هل جاءت العادة اخيرا كبديل عن قتل النفس واخصاء النفس وتعبيرا عن النزعة الانتحارية ؟

ودخلت المجموعة في شرنقة تعيش فيها في عالم خاص بها معزول عن العالم . أصبح اليهودي يميل الى السرية والعزلة لا يكلم أحدا عن دينه أو حياته ولا يريد أن يناقشك فيها . قال فرويد « الامور اليهودية هي الامور التي نتكلم عنها بين انفسنا فقط » . وعندما تحاول أن تجره الى المناقشة تلقى نفس المقاومة التي يلقاها الطبيب النفسي في جر المريض الذهاني الى الكلام . خـــط الاتصال مقطوع ولا تجـــده يأبه ان اشرقت الشمس أو أغربت خارج عالمه الخاص . واذا القى نظرة مـــن نافذته الى العالـــم الخارجي وقف شعره رعبا انه عالم مخيف لا يبيت له غير الاضطهاد والابادة . هذا هو